

دلائل الإعجاز

والقول المبينُ في ذلك أن يقالَ : إنَّه إنَّما اجتلبَ حتى إذا كان قد عُرِفَ رجلُ
بقصةٍ وأمرَ جَرى له فتخصَّصَ بتلك القِصة وبذلك الأمرِ عندَ السَّامعِ . ثم أُرِيدَ
القصدُ إليه ذُكِّرَ " الذي " . تفسيرُ هذا أنك لا تَصِلُ " الذي " إلَّاَّ بجملةٍ من الكلام
قد سَبَقَ مِن السامعِ علمُ بها وأمرُ قد عَرَفه له نحوُ أنْ ترى عندَه رجلاً يُنْشِدُه
شعراً فتقولُ له مِن غَدٍ : ما فَعَلَ الرجلُ الذي كانَ عندَكَ بالأمس ينشدُك الشَّعرَ
هذا حُكْمُ الجملةِ بِعَدِّ " الذي " إذا أنتَ وصفتَ به شيئاً . فكانَ معنى قولهم : إنه
اجتلبَ لِيَتَّوَصَّلَ به إلى وصفِ المعارفِ بالجملة أنه جيءَ به ليفْصَلَ بين أن
يُرَادَ ذِكْرُ الشيءِ بجملةٍ قد عَرَفها السامعُ له وبين أنْ لا يكونَ الأمرُ كذلك .
فإنَّ قلتَ : قد يُؤتى بِعَدِّ " الذي " بالجملة غيرِ المعلومة للسامع وذلك حيثُ يكونُ
الذي " خبراً كقولك : هذا الذي كانَ عندَكَ بالأمس وهذا الذي قَدِمَ رسولاً من الحَضرة .
أنتَ في هذا وشيْبهه تُعَلِّمُ المخاطَبَ أمراً لم يسبقَ له بِهِ عَلامٌ وتفيدُه في
المشارِ إليه شيئاً لم يكنْ عندَه . ولو لم يَكُنْ كذلكَ لم يكنِ " الذي " خبراً إذ
كان لا يكونُ الشيءُ خبراً حتى يُفَادَ به . فالقولُ في ذلك : إنَّ الجملة في هذا
النحو وإن كان المخاطبُ لا يعلمُها لَعَيَّنَ مِن أَشْرَتِ إليه فإنه لا بدَّ من أن يكونَ
قد عَلِمَها على الجملة وحُدِّثَ بها . فإنك على كلِّ حالٍ لا تقولُ : هذا الذي قَدِمَ
رسولاً : لمن لم يعلم أنَّ رسولاً قدِمَ ولم يبلغْه ذلك في جملةٍ ولا تفصيل . وكذا لا تقولُ
: هذا الذي كانَ عندَكَ أمسٍ لمن قد نسيَ أنه كانَ عندَه إنسانٌ وذهبَ عن وَهْمِهِ وإنما
تقولُ لمن ذاك على ذِكْرِ منه . إلَّاَّ أنه رأى رجلاً يُقْبِلُ من بعيدٍ فلا يعلمُ أنه ذاك
ويظنُّه إنساناً غيرَه .

وعلى الجملة فكلُّ عاقلٍ يعلمُ بَوْنَ ما بينَ الخبرِ بالجملة مع " الذي " وبينها
معَ غيرِ " الذي " . فليس مِن أَحَدٍ به طَرِيقٌ إلَّاَّ وهو لا يشكُّ أنْ ليس المعنى في
قولِكَ : هذا الذي قَدِمَ رسولاً من الحَضرة كالمعنى إذا قُلْتَ : هذا قَدِمَ رسولاً مِن
الحَضرة ولا : هذا الذي يَسْكُنُ في محلَّة كذا كقولك : هذا يسكنُ مَحَلَّة كذا . وليس
ذاكَ إلَّا أنك في قولك : " هذا قَدِمَ رسولاً من الحَضرة " مُبتدئٌ خبراً بأمرٍ لم يبلغِ
السامعَ ولم يُبَلِّغْه ولم يَعْلَمْهُ أصلاً . وفي قولكَ : " هذا الذي قَدِمَ رسولاً " مُعَلِّمٌ في أمرٍ قد بَلَغَه أنَّ هذا صاحِبُه فلم يَخْلُ إذاً من الذي